



العدد: 10 (ماي 2017) البريد الالكتروني: [communisme@marxy.com](mailto:communisme@marxy.com) ثمن البيع: 5,00 دراهم، المساهمة: غير محددة



## بيان فاتح ماي 2017



والاستعمار والحرب وكل إفرزات تعفن الرأسمالية. كما أن الشعب المغربي، عمالا وفلاحين فقراء وشباب فقير، يناضل بدوره ضد النظام الرأسمالي التبعية الدكتاتوري القائم وسياساته الرجعية، في المعامل والجامعات والمناطق والأحياء الفقيرة، ولعل أبهى أشكال ذلك النضال في وقتنا الحالي هو الحراك الذي تعرفه منطقة الريف ضد الحكرة والتهميش والدكتاتورية...

أيها العمال أيتها العاملات، أيها الشباب المكافح، مهما كانت الحكومات التي ستصل إلى الحكم في ظل النظام الرأسمالي المأزوم، فلن تكون سوى حكومة التفتيش والنهب. من المستحيل إصلاح هذا النظام مثلما هو من المستحيل تحقيق أي عدل أو سلام أو تحسين جدي في ظروف عملنا وعيشنا نحن العمال والفلاحون وعموم الكادحين، نحن الأغلبية الساحقة في هذا البلد والعالم، في ظل الرأسمالية المحتضرة المتحللة.

لا بديل أمامنا سوى النضال من أجل إسقاط هذا النظام واستبداله بنظام تكون فيه كل الثروات والسلطة السياسية في يد مجالس العمال والفلاحين وعموم الكادحين: نظام الديمقراطية العمالية. ولا حل إلا بنزع ملكية الرأسماليين وتأميم الأرض والمناجم والمعامل والأبنك ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية للمجتمع ولصالح المجتمع بأسره.

هذا المشروع هو المشروع الاشتراكي، وهو المشروع الذي ناضل نحن الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، رابطة العمل الشيوعي، وفصيل الطلبة الماركسيون الأمميون- الخط العمالي داخل الحركة الطلابية المغربية، من أجل تحقيقه، فإن كنتم تتفقون مع أفكارنا التحقوا بنا في النضال من أجل بناء الحزب العمالي الماركسي الثوري الذي مهمته قيادة النضال من أجل انتصار قضية العمال، في المغرب والعالم، قضية الاشتراكية والحرية والسلام.

أيها العمال أيتها العاملات، أيها الشباب المكافح

نتقدم لكم نحن رفاقكم ورفيقاتكم أعضاء الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، رابطة العمل الشيوعي وتيارنا الطلابي فصيل الطلبة الماركسيون الأمميون- الخط العمالي داخل الحركة الطلابية المغربية، بأحر التحايا بمناسبة يومكم الأممي، الذي هو مناسبة لتأكيد إصرارنا على مواصلة النضال وتجسيد للطبيعة الأممية لنضالنا ضد الرأسمالية من أجل عالم الاشتراكية والمساواة والسلام.

أيها الرفاق إننا نخلد ذكرى فاتح ماي هذه السنة والرأسمالية العالمية تعيش أعمق أزمة لها في تاريخها، على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية وحتى القيمية والفكرية.

إن الرأسمالية العالمية نظام مفلس يتحلل أمام أنظارنا، والبربرية، المتمثلة في الحروب الإمبريالية المدمرة وموجات الإرهاب، الخ، ليست سوى أعراض مرض الموت الذي تعانیه لكنها رغم ذلك ترفض أن تموت. والنتيجة هي أنها لكي تستمر تجر العالم بأسره والحضارة البشرية نحو الخراب والمجاعة والبطالة والفقر والتلوث والاستغلال الوحشي.

نفس الشيء يقال عن الوضع بالمغرب، حيث الطبقة الرأسمالية الحاكمة، ونظامها الدكتاتوري، تفرض على ملايين المغاربة نساء ورجالا وأطفالا حياة اليأس والجهل والاستغلال، وتحكم على ملايين الشباب بالبطالة والتهميش، وتخرب البيئة وتستنزف الثروات الطبيعية الهائلة التي يتمتع بها البلد، لصالح أقلية من الطفيليات والنهابين ومصاصي دماء العمال والكادحين.

وفي المقابل، الشعوب تكافح بشراسة النمر لتغيير هذا الواقع البئيس. تناضل في كل مكان ضد الاستغلال والتفتيش والبطالة

مقتطفات من  
البرنامج الانتقالي

ص: 12

الثورة الروسية:  
ما الذي حققته  
ولماذا انحطت

ص: 06

هجوم ترامب على  
سوريا: النفاق  
النتن

ص: 04

التوجه القاعدي  
يغير اسمه للطلبة  
الماركسيون  
الأمميون

ص: 03

فاتح ماي: تاريخ  
النضالات الطبقة  
العمالية

ص: 02

## فاتح ماي: تاريخ النضالات الطبقة العمالية

لعبته قيادات النقابات والأحزاب العمالية. لقد أصبحوا "خدام الرأسمال الأوفياء"، لا يهتمون سوى بالاتفاقات مع أرباب العمل، على حساب العمال الذين يفترض أنهم يمثلونهم.

في بريطانيا تم تجاهل عيد العمال إلى حد كبير من قبل القيادة الرسمية للحركة العمالية، في سياق بحثها عن الاحترام والتعاون الطبقي. أما التضامن العمالي والأممية فلم يعودوا يتبنونها سوى بالكلمات، في أحسن الأحوال. ونتيجة لذلك صارت النقابات الحالية عاجزة عن النضال بفعالية لمصلحة طبقتنا.

إن الكفاح من أجل إعادة إحياء الحركة العمالية والنقابات العمالية يرتبط بالنضال من أجل السياسات الاشتراكية. لقد تم تأسيس حزب العمال [البريطاني] قبل قرن من أجل تمثيل مصالح الطبقة العاملة في البرلمان. لكن ولسوء الحظ تم الاستيلاء عليه من قبل البليريين\* الذين يريدون تحويله إلى حزب رأسمالي. إن الأمر متروك للقواعد، ولا سيما النقابات، لكنس الجناح اليميني واستعادة الحزب.

ومع ذلك يجب طرح بديل واضح عن السياسات الرأسمالية داخل الحركة العمالية. لا للتعاون الطبقي! لا لسياسات المحافظين! من أجل حكومة عمالية على أساس برنامج اشتراكي!

فقط من خلال استيلاء العمال على مفاتيح الاقتصاد والاحتكارات والمصارف وشركات التأمين، الخ ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية للعمال وإدارتهم، سيتمكن تسير المجتمع لتلبية احتياجات العمال، الذين هم من يخلقون الثروة في المجتمع، وليس لخدمة أرباح أصحاب الملايين، كما هو الحال اليوم.

إن مستقبل الحركة العمالية اليوم يوجد بين أيدي قواعدها. يجب أن نبدأ في استعادة ماضي فاتح ماي المخفي من أجل خلق بديل كفاحي حقيقي. سواء كنت تعمل أو تدرس أو كنت عاطلاً عن العمل، فإن يوم فاتح ماي هو يومك! وعلى حد تعبير البيان الشيوعي: "يا عمال العالم اتحدوا!"

روب سيويل

01 ماي 2001

### هوامش:

\* الحركة الشارتية، (نسبة إلى كلمة Chart بالانجليزية وتعني الميثاق) حركة عمالية للمطالبة بالإصلاحات السياسية، ظهرت في بريطانيا ما بين 1838 و 1857. قامت على توقيع عرائض من قبل الملايين من العمال لتقديمها لمجلس العموم. ثم تطورت إلى حركة تمرد ولا سيما في جنوب ويلز وفي يوركشاير. - المترجم-

\*\* نسبة إلى توني بلير، زعيم الجناح اليميني داخل حزب العمال البريطاني. - المترجم-

على سحق الحركة النضالية. بعد ذلك بيومين، أطلقت الشرطة النار على العمال وقتلت أربعة عمال عند أحد المتاريس. غير ان قنبلة ألقتها عامل استنزازي قتلت سبعة من بين رجال الشرطة الذين ردوا باطلاق النار على العمال مما أسفر عن مقتل العديد من العمال واصابة المئات. وفي الأسابيع التالية، شنت الشرطة غارات منتظمة على المضربين والنقابيين، وكسرت الاجتماعات باستعمال العنف. تعرض قادة العمال للاعتقال وحكم عليهم بالإعدام، لكن تم تخفيف الحكم لاحقاً إلى السجن مدى الحياة.

انطلاقاً من مأساة شيكاغو في ماي 1886، والتي أصبحت معروفة في ما بعد باسم اليوم الأممي للعمال، أسس ممثلو العمال الأممية الثانية، في عام 1889، تحت راية الأممية العمالية. وكان القرار الرئيسي للمؤتمر هو أن ينظم العمال في كل فاتح ماي إضرابات ومظاهرات للمطالبة بيوم العمل من ثماني ساعات.

يوم فاتح ماي 1890، أضرب العمال في جميع أنحاء أوروبا، وتظاهر 100.000 عامل في برشلونة، و 120.000 في ستوكهولم، و 8.000 في وارسو، في حين بقي الآلاف في منازلهم في النمسا والمجر حيث تم حظر المظاهرات. انتشرت موجة الإضرابات إلى جميع أنحاء إيطاليا وفرنسا. وتعرض عشرة عمال للقتل في شمال فرنسا. وعلى حد قول الزعيم الاشتراكي الديمقراطي النمساوي، أدلر، "فئات واسعة من الطبقة العاملة، لم تكن لنتمكن من إقامة أي اتصال معها بطريقة أخرى، نهضت من الخمول".

وفي بريطانيا والمانيا، جرت مظاهرات ضخمة يوم الأحد الموالي. وعلى الرغم من الإخفاق في التظاهر يوم فاتح ماي، فإن أهميتها لم تخف عن فريدريك إنجلز، الذي كان قد شهد الهدوء السياسي الذي طبع الحركة العمالية البريطانية منذ أيام الشارتيين\* العظماء خلال الأربعينيات من القرن التاسع عشر، حيث قال: «بأكثر من 100.000 متظاهر في صف واحد، انضمت الطبقة العاملة الإنجليزية، يوم 04 ماي 1890، إلى الجيش الأممي العظيم، لقد انتهى أخيراً سباتها الشتوي الطويل، إن أحفاد الشارتيين القدامى يدخلون ساحة المعركة».

ومنذ ذلك الوقت مات العديد من العمال خلال المظاهرات من أجل يوم العمل من ثماني ساعات. لقد توالى سنوات عديدة من النضال الطبقي والمقاومة، ونحن نحفل بهم بفخر في هذا التاريخ. لكن هذا لا يكفي!

لسوء حظ طبقتنا، ما زلنا مقيدون بسلاسل الرأسمالية العالمية. لقد حاول العمال مرارا وتكرارا تغيير المجتمع، لكنهم تعرضوا للخيانة من طرف قادتهم. وهذا هو السبب في أننا اليوم، كاشتراكيين، لا نكتفي بتخليد عيد الكفاح الطبقي، بل نعمل أيضا على فضح الدور المشؤوم الذي

بينما يخرج ملايين العمال والشباب إلى الشوارع، في جميع أنحاء العالم، للاحتفال بيوم فاتح ماي، باعتباره يوماً للتضامن العمالي الأممي، نحتاج إلى إعادة تقييم أهدافنا المشتركة في ضوء الأزمة الرأسمالية العالمية المتزايدة.

لقد أعرب عشرات الملايين، منذ أكثر من 100 عام، مرارا وتكرارا، عن تصميمهم على تخليص العالم من القمع والحروب والفقر. كان انتصار الطبقة العاملة الروسية، في أكتوبر 1917، خطوة هائلة إلى الأمام للنضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع، وهي ما تزال تمثل منارة للعمال على الصعيد الأممي.

لقد صارت النزعة الأممية اليوم أكثر راهنية من أي وقت مضى. فمع انهيار الستالينية ومسارعة البيروقراطية الروسية إلى التحول إلى الرأسمالية، أصبحت الإمبريالية الأمريكية القوة الرجعية المهيمنة على هذا الكوكب. لكن هذه القوة تقوم على أسس مفخخة بالمتفجرات، لأنها مضطرة للتدخل مرارا وتكرارا ضد الشعوب المضطهدة في العالم.

بينما توسع الرأسمالية العالمية مجالات استغلالها، يجد العمال أنفسهم مطالبين بتنظيم صفوفهم للدفاع عن أنفسهم في كل مكان: من الفلبين إلى جنوب أفريقيا، ومن كوريا الجنوبية إلى الأرجنتين. وفي بريطانيا، في سياق الهجمات على مناصب الشغل خلال الأشهر القليلة الماضية، يمثل إغلاق مصنع موتورولا في باثيت، لوثيان الغربية (الذي أدى إلى فقدان أكثر من 3000 وظيفة) حلقة أخرى في مسلسل هجوم الرأسمال العالمي على العمال. لكن ذلك ليس سوى غيض من فيض، فقد فقدت بالفعل 100.000 وظيفة في قطاع الاتصالات مع تراجع الأرباح وتوقف الاستثمار. إن التحولات في أسواق الأسهم العالمية هي انعكاس للأزمة التي تضرب الرأسمالية العالمية.

مع تطور الأزمة، يحتاج العمال، على نحو متزايد، إلى تسليح أنفسهم ببرنامج يمكن أن يجيب عن احتياجاتهم وتطلعاتهم. وفي مسار قيامهم بذلك يحتاجون إلى استعادة تقليد يوم النضال العمالي فاتح ماي. لقد ظهر يوم فاتح ماي نفسه في سياق النضال. كان النضال من أجل يوم عمل من ثماني ساعات، في الولايات المتحدة، خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر، هو القضية التي أدت إلى ميلاد فاتح ماي باعتباره اليوم الأممي للعمال. في عام 1884، أصدرت فدرالية النقابات (C F O T) توصية كانت بمثابة منارة للطبقة العاملة بأكملها: "يجب أن تصبح ثماني ساعات هي المدة القانونية ليوم العمل، ابتداء من فاتح ماي 1886". وقد تبنت الحركة العمالية هذه الدعوة بإنشاء "رابطات ثماني ساعات"، والتي انتزعت تنازلات كبيرة من أرباب العمل، وأدت إلى مضاعفة عضوية النقابات العمالية.

بعد مسيرة فاتح ماي، في شيكاغو، التي ضمت 25.000 متظاهر، صار أرباب العمل عازمين

## التوجه القاعدي يغير اسمه

### للطلبة الماركسيون الأمميون



1- المنظمة الماركسية هي البرنامج والمبادئ والتقاليد، ثم الجهاز التنظيمي الذي مهمته إيصال تلك الأفكار وذلك البرنامج إلى الجماهير، بدءاً من الشباب الأكثر طليعية، وتنظيمهم.

2- لذلك يكتسي الاسم بالنسبة للمنظمة الماركسية أهمية كبرى، فهو بمثابة الراية، بمثابة الشعار الذي يجب أن يكون واضحاً ومكتفاً لهويتها وبرنامجها وأهدافها.

3- ومثلما نرفض اختلاط رايتنا مع رايات التيارات الأخرى، حتى الحليفة منها، ومثلما نحارب الغموض في شعاراتنا وأفكارنا، يجب أن نحصر على ألا يختلط اسمنا بأسماء التيارات الأخرى ولا أن يثير لدى المتعاطفين معنا، ولا الجماهير عموماً، أي لبس حول هويتنا أو برنامجنا أو أهدافنا.

4- في بداية تأسيس فصيلنا اختار الرفاق المؤسسون اسم التوجه القاعدي لأنهم كانوا يريدون تياراً طلابياً يسارياً يمثل في نفس الآن استمرارية لما هو علمي ومشرق في تجربة القاعديين وقطبعة مع التصورات الخاطئة (نظرية المراحل ومختلف التفاهات الستالينية الماوية) ومع الممارسات الخاطئة التي كانت قد بدأت تميز التيارات القاعدية في بعض المواقع (العنف ضد التيارات المخالفة وضد الجماهير، العدمية التنظيمية، أو الذيلية للأحزاب الإصلاحية...). وبالفعل مثل فصيلنا، باسمه هذا، تياراً جديداً متميزاً لمدة من الزمن، لكن تلك المرحلة انتهت الآن ولا بد من تحقيق نقلة جديدة في مسار تطور فصيلنا.

5- لقد قررنا أن نغير اسم فصيلنا من التوجه القاعدي - الخط العمالي داخل الحركة الطلابية المغربية - إلى "الطلبة الماركسيون الأمميون" - الخط العمالي داخل الحركة الطلابية المغربية". جاء هذا القرار نتيجة نقاشات طويلة استحضرننا فيها الحيثيات التالية:

6- اسم الماركسيون الأمميون يعكس بدقة هويتنا وبرنامجنا. نحن ماركسيون لأننا نعتبر أن الماركسية هي النظرية الوحيدة القادرة على تفسير الواقع الذي نعيش فيه، وتقديم البديل الثوري لتغييره. بينما أثبتت كل النظريات الأخرى عجزها عن فهم ما يحدث في العالم واكتفت بتصورات أخلاقية أو تخبط

مع الجماهير والدفاع عن الديمقراطية وحق الجماهير في التقرير والتسيير بعيداً عن الوصاية البيروقراطية.

11- لكنه صار اليوم، على يد أغلب التيارات التي تسمى نفسها قاعدية، يحيل على العنف ضد المخالفين في الرأي، بمن فيهم التيارات اليسارية، والوصاية على الجماهير، بل والعنف ضدها، والموقف العدمي ضد كل أشكال التنظيم، بل صار يحيل في بعض المواقع على مشتل لتربية الكوادر للأحزاب البورجوازية.

12- إن الاسم الذي نتقدم به منذ اللحظة إلى الجماهير الطلابية وعموم الشباب الباحث عن بديل ثوري هو: فصيل الطلبة الماركسيون الأمميون - الخط العمالي داخل الحركة الطلابية المغربية-، أنصار جريدة الثورة والفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي.

13- إن كنتم تتفقون معنا، التحقوا بنا في النضال من أجل بناء قيادة ماركسية للحركة الطلابية المغربية والجماهيرية عموماً، التحقوا بنا في النضال من أجل نشر الفكر الماركسي الثوري والبديل الاشتراكي.

انتقائي، كما أثبتت عجزها عن تقديم أي بديل منسجم للواقع الذي نعيشه.

ونحن أمميون لأن الرأسمالية نظام عالمي والهجوم الذي نشهده على حقنا في التعليم العمومي الجيد والشغل الكريم والثقافة وبيئة نظيفة الخ، هجوم عالمي، والنضال ضده لا بد أن يكون أممياً. أمميون لأننا اشتراكيون والاشتراكية إما أن تكون أممية أو لن تكون أبداً. لا إمكانية لبناء الاشتراكية في بلد واحد.

7- كما أن اسم "التوجه القاعدي"، الذي لعب دوره التاريخي لفترة من الزمن منذ لحظة التأسيس، قد صار الآن عائقاً أمام تطورنا وعلاقتنا مع الجماهير التي نتوجه إليها بأفكارنا وبرنامجنا.

8- لقد صار يثير لبساً كبيراً عند المتعاطفين والتيارات الحليفة للأسباب التالية:

9- الخلط الذي يحدث في أذهان الجماهير الطلابية بيننا وبين تيارات القاعديين المختلفة.

10- في الماضي كان اسم القاعديين يثير الاحترام ويحيل إلى معاني التضحية والصمود والكفاحية، كان يحيل على التواضع

## هجوم ترامب على سوريا: النفاق الترن



يوم أمس [الخميس 06 ابريل] أطلقت البحرية الأمريكية سلسلة من الهجمات الصاروخية على قاعدة الشعيرات الجوية في محافظة حمص الوسطى في سوريا. قتل إن سبعة أشخاص لقوا مصرعهم كما تضررت العديد من الطائرات المقاتلة.

دون أن يقوم بأي تحقيق، ودون حتى أن يتكلف عناء البحث عن دعم أي مؤسسة دولية، وفي تناقض تام مع موقفه المعلن سابقا بعدم التدخل في سوريا، شن ترامب قصفاً من جانب واحد ضد قوات الحكومة السورية.

كان المبرر المعلن لهذا الهجوم هو: استخدام نظام الأسد لأسلحة كيميائية في بلدة خان شيخون في شمال غرب سوريا، وهي بلدة كانت قد استهدفتها القوات الجوية السورية. بالطبع هناك القليل جداً من الأدلة حول ما حدث فعلاً ومن قام بذلك. وكان غالبية "الخبراء" الذين استشهدت بهم وسائل الإعلام الغربية ممن ينتمون إلى منظمات الإغاثة، مثل "أطباء بلا حدود"، أو "الخوذ البيضاء" وهي منظمة فاقدة للمصداقية ولها علاقات بتنظيم القاعدة وعموم الحركات الإسلامية في سوريا. في الواقع إن خان شيخون، ومحافظة إدلب حيث تقع، توجدان تحت سيطرة الجناح السوري لتنظيم القاعدة، الذي يسمى هيئة تحرير الشام. ويسيطر الإسلاميون بإحكام على كل المعلومات التي تخرج من المنطقة ولا توجد أي وسيلة لتأكيد أي شيء.

بالطبع نظام الأسد قادر تماماً على تنفيذ مثل هذا الهجوم، لكنه في هذه المرحلة ليس له أي مكسب من وراء استخدام الأسلحة الكيميائية. إنه الآن هو من لديه اليد العليا في الحرب الأهلية، بفضل الدعم الروسي. إنه يحقق التقدم في ساحة المعركة ولا يبعد سوى بضعة أيام عن "مبادرات السلام" التي ستعزز موقفه. وقد أشار ممثلو إدارة ترامب مراراً إلى أنهم يرون في الأسد القوة الوحيدة القادرة على هزيمة الإسلاميين وتحقيق الاستقرار في سوريا. غير أن جناحاً آخر داخل الطبقة الحاكمة الأمريكية قلق جداً من هذا الوضع الذي يشهد تقارب الولايات المتحدة مع الأسد والروس. وهذا الجناح، الذي تدعمه السعودية، يعتبر انتصار الأسد وروسيا وإيران تهديداً مباشراً لموقفه في المنطقة.

صارت قواتهم العملية، هيئة تحرير الشام وحلفاؤها، في وضع ضعيف منذ استعادة حلب في ديسمبر 2016. وقد ظهر ذلك بوضوح قبل بضعة أسابيع فقط، عندما

داعش خلال السنوات القليلة الماضية، أصبح معادياً بشكل متزايد للقوات العراقية وقوات التحالف. وبطبيعة الحال عندما كان الروس والسوريون يقصفون حلب لم تتوقف دموع التماسيح والإدانة، لكن لا أحد يتحدث عن الموصل اليوم.

واليمن مسألة أخرى يفضلون تجاهلها. في اليمن يتعرض 13 مليون رجل وامرأة وطفل للموت جوعاً بشكل مقصود على يد النظام الملكي السعودي الفاسد. وتقصف المدارس والمستشفيات يومياً بالقنابل العنقودية المحظورة والتي تباع للسعوديين من طرف الشركات البريطانية والأمريكية. ما هو دور الإمبريالية البريطانية والأمريكية هناك؟ إنه الدعم اللوجستي النشط والاستخبارات والبحرية والحصار.

الإمبريالية الأمريكية هي القوة التي تسببت في مقتل أكبر عدد من الناس في الشرق الأوسط، أكثر من أي قوة أخرى. وقد استند احتلال العراق أيضاً إلى ادعاءات "الخبراء" واتهامات باستخدام أسلحة كيميائية وأسلحة دمار شامل والتي ثبت لاحقاً أنها ادعاءات كاذبة. وقد تسبب، وفقاً لمنظمة أطباء من أجل المسؤولية الاجتماعية الحائزة على نوبل، في مقتل مليون شخص. وقبل ذلك حددت الأمم المتحدة نفسها عدد القتلى من المدنيين العراقيين المتضررين من العقوبات الأمريكية المفروضة في 1,7 مليون شخص. وهذا ما يعني أن حوالي ثلاثة ملايين عراقي قتلهم الولايات المتحدة منذ عام 1990. وماذا عن اليورانيوم المنضب الذي استخدم في كلا الحربين على العراق؟

اضطرت المجموعات المدعومة من طرف السعودية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية في إدلب إلى أن تتراجع بسرعة بعد هجوم واسع النطاق على مدينة حماة. وبعد هذا الهجوم أول انتهاك كبير لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء البلاد الذي اتفقت عليه الأطراف الرئيسية في الحرب خلال دجنبر الماضي. إن الانعطاف الحالي للأحداث يفيد الإسلاميين ومؤيديهم أكثر من أي طرف آخر في الحرب. ليس هناك دليل قاطع على أن نظام الأسد هو من نفذ هذا الهجوم الكيماوي، لكن مرة أخرى لم يمنع عدم وجود دليل الإمبريالية الأمريكية أبداً عن قصف أي شيء.

الأسلحة الكيميائية من أكثر أسلحة الحرب قسوة، لكن أقل ما يمكن قوله عن استخدام الإمبرياليين الكلبين لذلك الهجوم الكيماوي، من أجل أسباب دعائية، هو أنه مثير للغثيان. كما لو أن البربرية والقتل والنهب للمنطقة بأسرها ليس بالأمر السيئ، إلى أن يستخدم أحد ما أسلحة كيميائية. وكما لو أن الحرب التي لا تتوقف أبداً، ومقتل مئات الآلاف من الأطفال وتدمير أسس الحياة المتحضرة أمور مقبولة نوعاً ما من الناحية الأخلاقية، طالما أن هذا القتل لا يتم إلا بالسيوف والبنادق والقنابل والضربات الجوية والعقوبات.

قبل بضعة أسابيع فقط، توقفت عملية الموصل المدعومة من الغرب بعد مقتل أكثر من 200 مدني، كانوا مختبئين في قبو، أثناء غارة جوية أمريكية. ولم يكن السبب الحقيقي لإيقاف العمليات هو أن الناس كانوا يموتون، بل لأن شعب الموصل، الذي عاش تحت حكم

RADICAL SYRIAN REBEL

MODERATE SYRIAN REBEL



أي شيء، فإنه سيؤدي إلى مساعدة الأسد على حشد الدعم الشعبي وراءه.

الحل الحقيقي الوحيد هو تبني موقف تطبيقي مستقل واضح. ويجب علينا أن نقول بوضوح للعمال والشباب في الغرب الذين يريدون حقا إنهاء البؤس والهمجية في الشرق الأوسط: إن العدو موجود عندنا في الداخل! إن نفس الناس الذين يهاجمون الطبقات العاملة في الغرب، والذين يفرضون سياسة التفتيش والبطالة وتخفيض مستويات المعيشة في الداخل، هم نفسهم الذين يقتلون ويذبحون الجماهير العاملة في الشرق الأوسط منذ عقود، إن لم يكن أكثر.

إن أكثر القوى رجعية في الشرق الأوسط هي القوى الإمبريالية الغربية وحلفاؤها، الذين يريدون السيطرة على شعوب المنطقة وسجنها واستغلالها، والذين يستندون إلى أكثر المجموعات والفئات تخلفا ورجعية للقيام بذلك. بدون دعم الإمبريالية الغربية ستتهار كل الجماعات الجهادية وجميع الديكتاتوريات الرجعية في المنطقة تقريبا. إننا في نفس الوقت لا يمكننا أن نقدم أي دعم لخصوم حكائنا الإمبرياليين، أي بوتين أو الأسد أو الملالي في إيران، والذين هم أكثر استعدادا للتوصل إلى اتفاق معهم طالما سيخدم ذلك مصالحهم الضيقة.

إن الأزمة في الشرق الأوسط هي نتيجة مباشرة للإفلاس التام للرأسمالية العالمية، التي هي نظام فوضوي يعيش أزمة عميقة، والتي يغرق "محيطها" في الهمجية والتدخل الأميركي في سوريا سيجعل الأمور أكثر سوءا. إن المطلوب ليس هو توسيع نطاق الحرب في الشرق الأوسط، بل إعادتها إلى الوطن في شكل صراع طبقي ضد الطبقات الحاكمة، التي هي طبقات لا تلعب أي دور في الإنتاج، بل فقط تنشر الرعب والدمار في كل مكان.

كانت هذه خطوة كليبية ومحسوبة بهدف وحيد هو الدفاع عن المصالح الضيقة للطبقة الحاكمة الأمريكية وحلفاءها، وإرسال إشارة، لاسيما إلى روسيا، بأن الإمبريالية الأمريكية ما تزال مشاركة "في اللعبة" في سوريا، ولشيق التحالف بين روسيا وإيران والأسد والاستعداد للتفاوض حول مستقبل الأسد. أي أنها ليست سوى استمرار للحرب الأهلية الإمبريالية الرجعية التي لن يحصل الشعب السوري منها إلا على المزيد من البؤس.

لسوء الحظ قفز جزء كبير من اليسار في الغرب إلى عربة الإمبريالية ووسائل الإعلام الغربية وصاروا يرددون موافقها. بالطبع ليس هناك من شيء تقدمي في نظام الأسد أو في ألعاب روسيا القذرة في سوريا. لكن وفي محاولة لمعارضة هذه القوى، وضع البعض أنفسهم في نفس معسكر القوة الأكثر رجعية على هذا الكوكب، أي الإمبريالية الأمريكية. وبمسارعتهم إلى دعم القصف الأمريكي، يبدو أنهم قد نسوا ما أدت إليه كل التدخلات الغربية، دون استثناء، في تاريخ الشرق الأوسط، أي المزيد من الاضطرابات والهمجية. ومع ذلك، فإن هؤلاء "اليساريين" لا ينتقدون الولايات المتحدة بسبب تدخلها، بل ينتقدونها بسبب عدم تدخلها بما فيه الكفاية!

والواقع هو أنه في ظل غياب حركة ثورية عمالية حقيقية، سوف تؤدي الإطاحة بنظام الأسد، بالقوة العسكرية المدعومة من الغرب، إلى اجتياح سوريا من قبل داعش والجماعات المرتبطة بتنظيم القاعدة المدعومة من الغرب، والتي ليست لديها خلافات مبدئية كبيرة مع داعش. ينبغي أن تكون الفوضى الوحشية الناجمة عن التدخل الغربي في ليبيا درسا عن الطبيعة الرجعية لمثل هذه التدخلات. إن الشعب السوري يدرك جيدا هذا، وإذا ما أدى هذا الهجوم إلى

أو قتال الفسفور الأبيض التي أسقطت على الفلوجة من قبل القوات الأمريكية في عام 2004، والتي جعلت المدينة حتى اليوم تسجل أعلى معدلات العيوب الخلقية عند المواليد؟ في 1996 عندما سئلت مادلين أولبرايت عن موت حوالي نصف مليون شخص بسبب العقوبات الأميركية في العراق قالت: "نعتقد أن النمن يستحق ذلك".

من خلال شنها لحربها الوحشية على العراق، تسببت الإمبريالية الأمريكية في زعزعة استقرار المنطقة بأسرها. في سوريا تدخلت الولايات المتحدة وحلفاؤها الإقليميون، تركيا والأردن والمملكة العربية السعودية، لإجهاض الحركة الثورية ودفعها في اتجاه صراع طائفي رجعي. وقد أدى الدعم المباشر وغير المباشر لتنظيم القاعدة وغيره من المنظمات الجهادية الرجعية إلى خلق وحش فرانكشتاين الذي سوف يخرّب المنطقة بأكملها، وكذلك الغرب، مثل الطاعون لعقود عديدة قادمة.

من الواضح أنه بالنسبة لدونالد ترامب والطبقة الحاكمة الأمريكية، ليست مصائر السوريين أو أي شعب آخر ذات أهمية. كما أنهم لا يهتمون بمن قتل من، ولا بما إذا كانوا قد استخدموا أسلحة كيميائية أصلا. التحول المفاجئ في سياسة ترامب تجاه الأسد هو تحول بـ 180 درجة عن موقفه قبل بضعة أسابيع فقط عندما كان يدعي أن الطريق الوحيد للخروج من الفوضى في سوريا هو القيام بجهد مشترك مع روسيا والأسد. من الواضح أن ترامب يتعرض لضغوط من طرف قطاعات داخل الطبقة الحاكمة الأمريكية تريد وقف تقاربه مع بوتين، وليس لأن ترامب لديه أي دوافع أخلاقية للقيام بذلك. وفي هذا السياق جاء الهجوم الكيماوي ليمثل مبررا "ملائما" لتشكيل الرأي العام استعدادا للهجوم.

## الثورة الروسية: ما الذي حققته ولماذا انحطت



ذهب إلى حد نيش قبر أوليفر كرومويل وشنق جثته على الملا في تيبورن.

نفس مشاعر الحقد الخبيثة النابعة عن الخوف هي ما يحفز اليوم الجهود الحالية لطمس المكاسب والأهمية الثورية للثورة الروسية وتشويه ذكرى قادتها. إن التزييف المنهجي للتاريخ، الذي تقوم به البرجوازية حالياً، وإن كان أكثر أناقة نوعاً ما من عمليات الإعدام خارج نطاق القانون التي قام بها الملوك الإنجليز، فإنه لا يتفوق عليها أخلاقياً بأي حال من الأحوال. لكنه في نهاية المطاف لن يكون أكثر فعالية. إن الحقيقة هي قاطرة التقدم البشري، ليس الكذب. والحقيقة لن تبقى مدفونة طويلاً.

استمر المدافعون عن الرأسمالية، طيلة ثلاثة أجيال، بنفثون حقدهم ضد الاتحاد السوفياتي. ولم يدخروا أي جهد أو شيء في محاولة تشويه صورة ثورة أكتوبر والاقتصاد المخطط المؤم الذي نتج عنها. وقد شكلت جرائم الستالينية سلاحاً فعالاً في هذه الحملة. كانت الحيلة تتمثل في الخلط بين الاشتراكية والشيوعية وبين النظام الشمولي البيروقراطي، الذي نشأ بسبب عزلة الثورة في بلد متخلف.

ليس من الصعب فهم سبب كراهية الاتحاد السوفياتي، التي يتقاسمها جميع الذين تتأتى مهنتهم وروايتهم وأرباحهم من النظام القائم على الربح والفائدة والربح. لا علاقة لتلك المشاعر بالنظام الشمولي الستاليني، فنفس "أصدقاء الديمقراطية" هؤلاء ليس لديهم أي مانع من الإشادة بالأنظمة الديكتاتورية عندما يناسب مصالحهم القيام بذلك. كانت الطبقة الحاكمة البريطانية "الديمقراطية" سعيدة جداً برؤية هتلر يصل إلى السلطة، عندما كان يسحق العمال الألمان ويوجه انتباهه نحو الشرق.

لقد أعرب ونستون تشرشل وممثلون آخرون عن الطبقة الحاكمة البريطانية عن إعجابهم الشديد بموسوليني وفرانكو، وذلك حتى عام 1939. وخلال الفترة التي تلت عام 1945،

تصريحات الانتصار التي قالها المنظرون البرجوازيون: لقد عاد التاريخ للانتقام. ونفس هؤلاء المحللين الغربيين الذين بالغوا في وصف كل عيب في الاقتصاد السوفياتي، ها هم الآن يكافحون، بشكل يائس، لشرح الفشل الواضح لاقتصاد السوق. كل ما نشهده الآن هو الانهيار الاقتصادي والاضطراب السياسي وعدم اليقين والحروب والصراعات. وقد أخلت النشوة السابقة مكانها الآن لأسوأ أنواع التشاؤم.

ولهذا السبب بالذات ستكون الذكرى المئوية للثورة الروسية حتماً مناسبة لتكثيف الحملة الشرسة المناهضة للشيوعية. وليس من الصعب فهم السبب في ذلك. إن أزمة الرأسمالية العالمية تثير تشكيكاً عاماً في "اقتصاد السوق". وهناك إعادة إحياء للاهتمام بالأفكار الماركسية، مما يثير جزع البرجوازية. إن حملة التشهير الجديدة ليست انعكاساً للنقطة، بل هي تعبير عن الخوف.

### الخوف من الثورة

يظهر التاريخ أنه ليس كافياً للطبقة الحاكمة أن تهزم الثورة، بل من الضروري عليها أن تغطيها بالافتراء وتشويه اسم قادتها وتحيطها بسحابة من الأكاذيب الخبيثة والشكوك، لكي لا تشكل ذكراها مصدر إلهام للأجيال الجديدة. لا شيء جديد في هذا، فخلال القرن التاسع عشر، عندما ألف المؤرخ توماس كارليل كتاباً عن أوليفر كرومويل، قال إنه قبل أن يتمكن من البدء كان عليه أن ينتشل جثة كرومويل من تحت جبل من الكلاب الميتة.

بعد عودة النظام الملكي في 1660، كان يتعين محو كل ذكريات كرومويل والثورة البرجوازية الإنجليزية من الذاكرة الجماعية. بدأ الملك العائد، تشارلز الثاني، التاريخ رسمياً لحكمه من 30 يناير 1649، أي تاريخ إعدام تشارلز الأول، وتعين طمس جميع الإشارات إلى الجمهورية وأعمالها الثورية. كان تشارلز الثاني المغرور مدفوعاً بمشاعر عميقة من الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام، إلى درجة أنه

يصادف هذا العام الذكرى المئوية لثورة أكتوبر. يحاول المدافعون عن الرأسمالية، وخدامهم الأوفياء داخل صفوف الحركة العمالية، أن يطمئنوا أنفسهم بفكرة أن انهيار الاتحاد السوفياتي يدل على نهاية الاشتراكية. لكن ما فشل في روسيا لم يكن الاشتراكية، بل مجرد صورة كاريكاتيرية عنها. وخلافاً للافتراءات المتكررة، فقد كان النظام الستاليني النقيض المطلق للنظام الديمقراطي الذي أنشأه البلاشفة في عام 1917.

«ومهما يكن رأي المرء في البلشفية، فإنه لا يمكن إنكار أن الثورة الروسية واحدة من أعظم أحداث التاريخ الإنساني، وأن حكم البلاشفة ظاهرة ذات أهمية عالمية» جون ريد، 01 يناير 1919. [1]

صور المدافعون عن الرأسمالية انهيار الاتحاد السوفياتي على أنه يعادل النصر النهائي لـ "اقتصاد السوق الحر" على "الشيوعية". وقد خلق، قبل ربع قرن، موجة من النشوة بين صفوف البرجوازية ومنظريها. لقد تحدثوا عن نهاية الاشتراكية ونهاية الشيوعية وحتى عن نهاية التاريخ، ومنذ ذلك الحين شهدنا هجوماً أيديولوجياً غير مسبوق على الأفكار الماركسية على نطاق عالمي. لم يكن لذلك الاندفاع غير العقلاني أي حدود.

أعلن جورج بوش، الرئيس الأمريكي آنذاك، عن إنشاء نظام عالمي جديد تحت سيطرة الإمبريالية الأمريكية. وقال مارتن ماركولي: «الاتحاد السوفياتي لم يعد موجوداً. لقد فشلت تلك التجربة العظيمة... والماركسية قد فشلت عملياً في كل مكان، ولا يوجد نموذج اقتصادي ماركسي قادر على التنافس مع الرأسمالية» [2]. "لقد انتصرنا!" هتفت افتتاحية صحيفة وول ستريت جورنال (89/5/24). كانت تلك هي المرحلة التي صرح فيها فرانسيس فوكوياما بمقولته سيئة الذكر: «لقد وصلنا مرحلة ما بعد التاريخ... لقد انتصرت الديمقراطية الليبرالية، ووصلت البشرية إلى ذروة حكمتها. لقد انتهى التاريخ».

لكن وبعد خمسة وعشرين عاماً على ذلك لم يتبق حجر على حجر من تلك الأوهام الحمقاء. لقد دخلت الرأسمالية في أخطر أزمة لها منذ الكساد الكبير. ويواجه ملايين البشر مستقبل البطالة والفقر والانتقاعات والتقسف. الحروب والصراعات تدمر كل الكوكب، الذي صار بقاؤه نفسه معرضاً للخطر بسبب التخريب الذي يسببه اقتصاد السوق. والآن تبدو مزاعم الانتصار تلك مثيرة للسخرية في ضوء الحقائق. لقد كذبت الأزمة العالمية للرأسمالية وآثارها تلك التنبؤات الواثقة. ومثل قطرة من الماء على موقد ساخن تبخرت جميع الوعود بالامن والسلاوة، التي قدمها القادة الغربيون في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي.

لقد دفن حلم أمريكا في الهيمنة على العالم تحت أطلال حلب المحترقة. وتم تكذيب جميع

هائل من الأكاذيب والتشويهات التي تهدف إلى طمس الإنجازات الفعلية التي تحققت في الماضي. بينما تم تضخيم جميع أوجه القصور في الحياة السوفياتية - وهناك الكثير منها- بشكل منهجي مبالغ فيه واستخدمت "إثبات" أنه ليس هناك بديل للرأسمالية. ويقولون الآن إنه لم يكن هناك تقدم، بل كان هناك تراجع وعضو النهوض كان هناك الانحطاط. يقول المؤرخ الاقتصادي، أليك نوف: «لقد كان مستوى تخلف الاتحاد السوفياتي في الثمانينيات وراء الولايات المتحدة مشابها لما كانت عليه الإمبراطورية الروسية في عام 1913»، وخلص إلى أن «التنقيحات الإحصائية كان لها دور سياسي في نزح الشرعية عن النظام السوفياتي...» [3]

و ضد هذه الحملة غير المسبوقة من الأكاذيب والافتراء، من الضروري أن نضع الأمور في نصابها. نحن لا نرغب في إقتال كاهل القارئ بالإحصاءات، لكن ومع ذلك من الضروري أن نظهر بما لا يدع مجالاً للشك النجاحات الهائلة للاقتصاد المخطط. على الرغم من الجرائم البشعة التي ارتكبتها البيروقراطية، فإن التقدم الذي لم يسبق له مثيل في الاتحاد السوفياتي لا يمثل إنجازاً تاريخياً فحسب، وإنما يمثل، قبل كل شيء، لمحة عن الإمكانيات الهائلة الكامنة في الاقتصاد المخطط المؤمن، لا سيما إذا كان يدار على أسس ديمقراطية. وتصير هذه الإمكانيات أكثر وضوحاً إذا ما قورنت مع أزمة القوى المنتجة للرأسمالية على نطاق عالمي اليوم.

### تقدم غير مسبوقة

لقد حققت ثورة أكتوبر عام 1917 أكبر تقدم سبق أن عرفته القوى المنتجة في أي بلد في التاريخ. قبل الثورة كان اقتصاد روسيا القيصرية اقتصاداً متخلفاً للغاية شبه إقطاعي مع غلبة السكان الأميين. ومن بين ساكنة كانت تبلغ ما مجموعه 150 مليون نسمة، كان هناك ما يقرب من أربعة ملايين عامل صناعي فقط. وهذا يعني أنه كان أكثر تخلفاً بكثير مما هي عليه باكستان في الوقت الحاضر.

في ظل ظروف التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المخيفة، شرع نظام الديمقراطية العمالية، الذي أنشأه لينين وتروتسكي، في إنجاز المهمة الضخمة المتمثلة في سحب روسيا من التخلف على أساس الاقتصاد المخطط المؤمن. والنتائج التي تحققت ليست لها سابقة في التاريخ الاقتصادي. في غضون عقدين من الزمن، أنشأت روسيا قاعدة صناعية قوية و طورت الصناعة والعلوم والتكنولوجيا وألغت الأمية. وحققت تقدماً ملحوظاً في مجالات الصحة والثقافة والتعليم. وكل هذا في الوقت الذي كان فيه العالم الغربي غارقاً في البطالة الجماهيرية والإنهيار الاقتصادي أثناء الكساد الكبير.

لقد وضعت جدوى النظام الإنتاجي الجديد على محك اختبار صارم خلال أعوام 1941-1945، عندما تعرض الاتحاد السوفياتي للغزو من طرف ألمانيا النازية، التي كانت تمتلك جميع موارد أوروبا تحت تصرفها. وعلى الرغم من خسارة 27 مليون شخص، نجح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في هزيمة

الشيوعية أو الطبقة العاملة. لقد كانوا جزءاً من فئة حاكمة طفيلية عاشت حياة الترف على ظهور العمال السوفياتيين. والآن، وبنفس الكليية التي ميزتهم دائماً، انتقلوا علناً إلى صف الرأسمالية. لكن هذا التحول الخارق لا يمكن تبريره بسهولة. إن هؤلاء الناس يشعرون بالحاجة الملحة لتبرير ارتدادهم من خلال رمي كومة من الروث على ما زعموا بالأمس فقط أنهم كانوا يؤمنون به. وبهذه الوسائل يحاولون ذر الرماد في أعين الجماهير، وفي نفس الحين تهنته ضمائرهم - على افتراض أنهم يمتلكون شيئاً من هذا القبيل. حتى أسوأ المجرمين يجب أن يجد بعض المبررات لأعماله.

### ما الذي حققته الثورة

النظام الذي أنشأته ثورة أكتوبر لم يكن استبدادياً ولا بيروقراطياً، بل كان النظام الأكثر ديمقراطية الذي عرفته الإنسانية حتى الآن. لقد ألغيت ثورة أكتوبر بشكل جذري الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. وللمرة الأولى في التاريخ أثبتت جدوى الاقتصاد المخطط المؤمن، ليس على صعيد النظرية بل من الناحية العملية. وأثبت في تجربة عملاقة، لم يسبق لها مثيل، ضمت أكثر من سدس الكرة الأرض، أنه من الممكن تسيير المجتمع من دون الرأسماليين وملوك الأراضي والمصرفيين.

في الوقت الحاضر صار من المألوف التقليل من النتائج التي تحققت، أو حتى إنكارها تماماً. لكن أدنى اعتبار للحقائق يقودنا إلى نتيجة مختلفة جداً. فبالرغم من كل المشاكل وأوجه القصور والجرائم (التي، بالمناسبة، يزودنا تاريخ الرأسمالية بأمثلة كثيرة جداً عنها)، فإن الاقتصاد المخطط المؤمن في الاتحاد السوفياتي حقق التطور الأكثر إثارة للدهشة، خلال فترة قصيرة جداً من الناحية التاريخية. وهذا ما أثار خوف وأكاذيب الطبقات السائدة في الغرب، وما يجبرهم حتى الآن على إطلاق أكثر الأكاذيب والافتراءات وقاحة حول الماضي (دائماً تحت ستار "الموضوعية الأكاديمية" بالطبع).

على البرجوازية أن تدفن بشكل نهائي وإلى الأبد المثل العليا لثورة أكتوبر. ونتيجة لذلك كان انهيار الاتحاد السوفياتي نقطة انطلاق لحملة واسعة من الدعاية ضد إنجازات أنظمة الاقتصاد المخطط في روسيا وأوروبا الشرقية. وقد كان هذا الهجوم الأيديولوجي ضد "الشيوعية" من قبل المنظرين الاستراتيجيين للرأسمال محاولة محسوبة لنفي المكتسبات التاريخية التي نتجت عن الثورة. بالنسبة لهؤلاء السيدات والسادة كانت الثورة الروسية، حتى خلال عام 1917، مجرد انحراف تاريخي. بالنسبة لهم لا يمكن أن يكون هناك سوى شكل واحد من أشكال المجتمع، والرأسمالية، من وجهة نظرهم، كانت موجودة دائماً وستبقى كذلك إلى الأبد. ولذلك لا يمكن أبداً أن يكون هناك أي حديث عن مكاسب الاقتصاد المخطط المؤمن. ويقال إن الإحصاءات السوفياتية كانت مجرد مبالغة أو أكاذيب.

"لا يمكن للأرقام أن تكذب، لكن الكذابين يمكنهم أن يستخدموا الأرقام". كل التقدم الهائل الذي تحقق في مجالات محو الأمية والصحة وتوفير الخدمات الاجتماعية، دفن تحت ركام

دعت "الديمقراطيات" الغربية، وفي المقام الأول الولايات المتحدة الأمريكية، كل الدكتاتوريات الوحشية، ابتداء من سوموزا إلى بينوشيه، ومن المجلس العسكري الأرجنتيني إلى السفاح الإندونيسي سوهارتو، الذي صعد إلى السلطة على جثث مليون شخص، بدعم نشط من طرف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. والآن زعماء الديمقراطيات الغربية يعضون الطرف عن نظام المملكة العربية السعودية الدموي الذي يعذب ويقتل ويجلد ويصلب مواطنيه. إن قائمة هذه الممارسات الوحشية لا حصر لها.

مثل هذه الأنظمة مقبولة تماماً، من وجهة نظر الإمبريالية، بما أنها تقوم على الملكية الخاصة للأرض والبنوك والاحتكارات الكبيرة. ولذلك فإن عداهم الشديد للاتحاد السوفياتي لم يكن قائماً على أي مشاعر حب للحرية، بل على المصلحة الطبقية. لم يكونوا يكرهون اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بسبب ما كان سينا فيه، بل على وجه التحديد بسبب ما كان إيجابياً وتقدماً. لم يعارضوا دكتاتورية ستالين (بل على العكس من ذلك، لقد خدمتهم جرائم الستالينية بشكل جيد جداً كوسيلة لتشويه اسم الاشتراكية في الغرب)، بل عارضوا أشكال الملكية المؤممة التي كانت كل ما تبقى من مكاسب ثورة أكتوبر.

إن إعادة كتابة التاريخ بهذه الطريقة تذكر المرء بالأساليب القديمة التي استخدمتها البيروقراطية الستالينية، التي قلبت التاريخ على رأسه، وحولت شخصيات بارزة إلى نكرة، أو شيطنتها، كما هو الحال بالنسبة لليون تروتسكي، وعموما جعلت الأسود أبيضاً. والكتابات الحالية لأعداء الاشتراكية لا تختلف عن كتابات الستالينيين إلا في أنها تشوه صورة لينين بنفس مشاعر الكراهية العمياء والحقد التي يحتفظ بها الستالينيون لتروتسكي.

بعض أسوأ الأمثلة عن هذا النوع موجودة في روسيا. وهذا ليس مفاجئاً، لسببين مختلفين: أولاً أن هؤلاء الناس قد تربوا في مدرسة التزوير الستالينية، التي تقوم على مبدأ أن الحقيقة ليست سوى أداة في خدمة النخبة الحاكمة. وقد كان الأساتذة وخبراء الاقتصاد والمؤرخون، مع بعض الاستثناءات المشرفة، متعودين على تكليف كتاباتهم مع "الخط" الرسمي. ونفس المتفقين الذين كانوا يكيلون الثناء على تروتسكي، مؤسس الجيش الأحمر وزعيم ثورة أكتوبر، لم يترددوا بعد بضع سنوات عن إدانته باعتباره عميلاً لهتلر. ونفس الكتاب الذين تغزلوا في جوزيف ستالين باعتباره "القائد والمعلم العظيم"، سرعان ما قفزوا إلى الجهة الأخرى عندما "اكتشف" نيكيتا خروتشوف "عبادة الشخصية". إن العادات تموت بصعوبة، وأساليب الدعاية الفكرية هي نفسها، السيد وحده من تغيير.

وهناك أيضاً سبب آخر منفصل تماماً، وهو أن العديد من الرأسماليين في روسيا اليوم، كانوا منذ وقت ليس ببعيد يحملون بطاقة الحزب الشيوعي في جيبهم ويتحدثون باسم "الاشتراكية". لم يكن لهم، في الواقع، أية علاقة بالاشتراكية أو



بدأت، بالمناسبة، بإضراب لعمال النسيج خلال اليوم العالمي للمرأة) يجري الآن القضاء عليها بصورة منهجية. يظهر الوجه الرجعي للرأسمالية بشكل واضح في وضع المرأة في روسيا.

وضعت الثورة البلشفية الأساس للتححر الاجتماعي للمرأة، وعلى الرغم من أن الردة السياسية الستالينية شكلت انتكاسة جزئية، فإنه لا يمكن إنكار أن المرأة في الاتحاد السوفياتي قد حققت خطوات هائلة إلى الأمام في الكفاح من أجل المساواة. كتب تروتسكي: «إن ثورة أكتوبر قد أوفت بصدق بالتزاماتها فيما يتعلق بالمرأة. إن الحكومة الشبابية لم تعطها فقط جميع الحقوق السياسية والقانونية، على قدم المساواة مع الرجل، ولكن الأكثر أهمية هو أنها فعلت كل ما في وسعها، وعلى أي حال أكثر من أي حكومة أخرى على الإطلاق، لضمان وصولها إلى جميع أشكال النشاط الاقتصادي والثقافي».

كانت ثورة أكتوبر معلما بارزا في مسار الكفاح من أجل تحرر النساء. قبل ذلك، في ظل النظام القيصري، كانت المرأة تعتبر مجرد ملحق بالأسرة. كانت القوانين القيصرية تسمح بوضوح للرجل باستخدام العنف ضد زوجته، وفي بعض المناطق الريفية كانت النساء مجبرات على ارتداء الحجاب ومنع من تعلم القراءة والكتابة. خلال الفترة ما بين عامي 1917 و 1927، صدرت سلسلة كاملة من القوانين تمنح المرأة مساواة رسمية مع الرجل. وأعلن برنامج الحزب الشيوعي عام 1919 بجرأة: «لا يقتصر الحزب على المساواة الرسمية للمرأة، بل يسعى إلى تحريرها من الأعباء المادية، المترتبة عن الأعمال المنزلية، من خلال استبدالها بالمنازل الجماعية والمطاعم العامة والمغاسل المركزية ودور الحضانة، إلخ.»

لم تعد النساء ملزمات بالعيش مع أزواجهن أو مرافقتهم إذا ما كان تغيير الوظيفة يعني تغيير المنزل. منحت لهن حقوق متساوية في أن يكن على رأس الأسرة ويحصلن على أجر متساو. وتم إيلاء الاهتمام لدور المرأة في الإنجاب ووضعت قوانين خاصة للأمومة تحظر العمل لساعات

دفع ثلث أجرتهم أو أكثر لسداد تكاليف السكن. فقط خلال الفترة الأخيرة، مع فوضى البيروسترويك، بدأ كل ذلك في الانهيار. ومع الاندفاع نحو اقتصاد السوق شهدت كل من البطالة والتضخم ارتفاعا إلى مستويات لم يسبق لها مثيل.

كانت للاتحاد السوفياتي ميزانية متوازنة، بل وكان يحقق فائضا صغيرا كل عام. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه لم تنجح أي حكومة غربية في تحقيق هذه النتيجة (كما تثبت شروط ماستريخت)، مثلما لم تنجح في تحقيق العمالة الكاملة وغياب التضخم، وهي الأمور التي كانت موجودة في الاتحاد السوفياتي. يصبمت نقاد الاتحاد السوفياتي الغربيون عن هذه الحقائق، لأنها تظهر الإمكانيات التي يتضمنها حتى الاقتصاد الانتقالي، ناهيك عن الاشتراكية.

ومن بلد متخلف شبه إقطاعي أمي، في عام 1917، أصبح اقتصاد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية اقتصادا حديثا ومتقدما، يضم ربع علماء العالم، وبنظام صحي وتعليمي مساو أو متفوق على أي شيء موجود في الغرب، وقادر على إطلاق أول قمر صناعي فضائي وإرسال أول إنسان إلى الفضاء. في الثمانينيات كان عدد العلماء في الاتحاد السوفياتي أكثر مما كان عند الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا وألمانيا مجتمعين. وفي الأونة الأخيرة فقط اضطر الغرب إلى الاعتراف على مضض بأن برنامج الفضاء السوفياتي كان أكثر تطورا بكثير من نظيره الأمريكي. وحققة أن الغرب ما يزال مضطرا لاستخدام الصواريخ الروسية لإرسال الرواد إلى الفضاء دليل كاف على ذلك.

### النساء وثورة أكتوبر

نظر الاشتراكي الطوباوي الفرنسي الكبير فوريي إلى وضع المرأة باعتباره المؤشر الأكثر وضوحا عن تقدم أو تخلف أي نظام اجتماعي. وكانت محاولة إدخال الرأسمالية إلى روسيا عواقب وخيمة في هذا الصدد. وجميع المكاسب التي حققتها النساء بفضل الثورة الروسية (والتي

هتلر، وواصل، بعد عام 1945، إعادة بناء اقتصاده المدمر في فترة قصيرة من الزمن، وحول نفسه إلى ثاني أكبر قوة في العالم.

إن مثل هذه التطورات المذهلة في بلد ما يجب أن تدفعنا إلى التفكير. يمكن للمرء أن يتعاطف مع المثل العليا للثورة البلشفية، أو يعارضها، لكن مثل ذلك التطور الرائع، في مثل تلك الفترة القصيرة من الزمن، يفرض على المرء التفكير العميق.

خلال فترة 50 عاما، زاد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية من الناتج المحلي الإجمالي تسع مرات. وعلى الرغم من الدمار الرهيب الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، فقد زاد ناتجه المحلي الإجمالي خمس مرات خلال الفترة من 1945 إلى 1979. في عام 1950، كان الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد السوفياتي يشكل 33% فقط من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي، لكن بحلول عام 1979، صارت النسبة 58%. وبحلول أواخر السبعينيات، صار الاتحاد السوفياتي قوة صناعية هائلة، تجاوزت من الناحية المطلقة بالفعل بقية العالم في سلسلة كاملة من القطاعات الرئيسية. وكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ثاني أكبر منتج صناعي في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية وكان أكبر منتج للنفط والصلب والأسمنت والحديد من الصخري (Asbestos) والجرارات والعديد من الأدوات الآلية.

إلا أن هذه الأرقام لا تعبر عن المدى الكامل للإنجازات التي تحققت، فكل ذلك كان دون بطالة أو تضخم. البطالة كما هي في الغرب لم تكن معروفة في الاتحاد السوفياتي، بل إنها في الواقع كانت من الناحية القانونية جريمة. (المثير للسخرية هو أن هذا القانون ما زال قائما اليوم، على الرغم من أنه لم يعد يعني شيئا). كانت هناك أمثلة عن حالات لاستثناءات أو لأفراد يدخلون في نزاع مع السلطات بسبب حرمانهم من وظائفهم، غير أن هذه الظواهر لا تنبع من طبيعة الاقتصاد المخطط المؤم، ولا ضرورة لوجودها. لم يكن الاتحاد السوفياتي يعرف البطالة الدورية المصاحبة للرأسمالية أو السرطان العضوي الذي يؤثر الآن على العالم الغربي كله والذي يحكم حاليا على 35 مليون شخص، في بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD)، بحياة العطالة القسرية.

وعلاوة على ذلك، لم يكن هناك سوى تضخم ضئيل أو معدوم في معظم فترة ما بعد الحرب. لقد فهمت البيروقراطية حقيقة تحذير تروتسكي بأن "التضخم هو مرض السيفيليس بالنسبة للاقتصاد المخطط". بعد الحرب العالمية الثانية كانوا مهتمين معظم الوقت بضمان إبقاء التضخم تحت السيطرة؛ وكان هذا هو الحال بصفة خاصة مع أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية، فقبل البيروسترويك (إعادة الإعمار) كانت آخر مرة رفعت فيها أسعار اللحوم والألبان هي عام 1962. ويعود آخر ارتفاع في أسعار الخبز والسكر ومعظم أسعار الأغذية إلى عام 1955. وكانت إيجارات السكن منخفضة للغاية، ولا سيما بالمقارنة مع الغرب حيث كان على معظم العمال

التي حققها الاقتصاد المخطط طيلة عقود من الزمن. لكن حكم البيروقراطية الخانق أدى إلى الفساد وسوء الإدارة والتخريب والتبذير على نطاق هائل. لقد قوض مكاسب الاقتصاد المخطط. وكلما تطور الاتحاد السوفياتي إلى مستوى أعلى، صارت الآثار السلبية للبيروقراطية أكثر خطورة.

كانت البيروقراطية دائما بمثابة كابح لتطور القوى المنتجة، لكن بينما كان بناء الصناعات الثقيلة مهمة بسيطة نسبيا، فإن تسيير الاقتصاد المتطور الحديث، مع علاقته المعقدة بين الصناعات الثقيلة والخفيفة والعلوم والتكنولوجيا، لم يعد ممكنا أن تقوم به فئة بيروقراطية دون التسبب في حدوث أعطال خطيرة. وقد فرضت تكاليف الحفاظ على مستويات عالية من الإنفاق العسكري وتكاليف استمرار التحكم في أوروبا الشرقية المزيد من الضغوط على الاقتصاد السوفياتي.

ورغم كل الموارد الضخمة المتاحة لها، والقاعدة الصناعية القوية وجيش التقنيين والعلماء من الدرجة العالية، لم تتمكن البيروقراطية من تحقيق نفس النتائج التي كان الغرب يحققها. وقد تخلف الاتحاد السوفياتي عن الركب في المجالين الحيويين: الإنتاجية ومستويات المعيشة. وكان السبب الرئيسي هو العبء الهائل الذي فرضته البيروقراطية على الاقتصاد السوفياتي: ملايين المسؤولين الجشعين والفاستدين الذين كانوا يسيرون الاتحاد السوفياتي دون أي رقابة من جانب الطبقة العاملة.

ونتيجة لذلك صار الاتحاد السوفياتي يتخلف عن الغرب. لكن طالما استمرت القوى المنتجة في الاتحاد السوفياتي في التطور، كان الاتجاه المؤيد للرأسمالية ضعيفا، إلا أن المآزق الذي تسببت فيه الستالينية حول الوضع تماما. وبحلول أواسط الستينيات وصل نظام الاقتصاد المخطط بيروقراطيا إلى حدوده. وقد تم التعبير عن ذلك بشكل واضح من خلال الانخفاض الحاد في معدل النمو في الاتحاد السوفياتي، والذي انخفض باستمرار خلال السبعينيات، واقترب من الصفر في عهد بريجنيف. وبمجرد أن صار الاتحاد السوفياتي عاجزا عن تحقيق نتائج أفضل من الرأسمالية تقرر مصيره.

كانت تلك هي الفترة التي استنتج خلالها تيد غرانت بأن سقوط الستالينية صار أمرا لا مفر منه، وهو التنبؤ الرائع الذي قدمه منذ أوائل عام 1972. كان هذا المصير حتميا من وجهة النظر الماركسية. تفسر الماركسية أن قابلية نظام اقتصادي اجتماعي معين على البقاء تعتمد في نهاية المطاف على قدرته على تطوير القوى المنتجة. في كتاب "روسيا من الثورة إلى الثورة المضادة" يفسر تيد غرانت العملية برمتها بتفصيل كبير، ويظهر كيف أنه في الفترة بعد عام 1965 بدأ معدل نمو الاقتصاد السوفياتي في التباطؤ. بين عامي 1965 و 1970، كان معدل النمو 5,4%. وعلى مدى فترة السنوات السبع التالية، بلغ متوسط معدل النمو بين عامي 1971 و 1978 نسبة 3,7% فقط.

وهذا مقارنة بمتوسط نمو قدره 3,5% للاقتصادات الرأسمالية المتقدمة للبلدان الأعضاء

"الخبراء" الرأسماليين يمكن التنبؤ بها بقدر ما هي جوفاء، فالاشتراكية (أو الشيوعية) فشلت وهذه نهاية القصة. لكن تفسيرات القادة العماليين الإصلاحيين، اليساريين منهم واليمينيين، ليست أفضل بكثير. الإصلاحيون اليمينيون، مثلما هي العادة دائما، يرددون فقط آراء الطبقة السائدة. أما من الإصلاحيين اليساريين فلا نحصل إلا على صمت محرر. قادة الأحزاب الشيوعية في الغرب، الذين دعموا بالأمس كل جرائم الستالينية، يحاولون الآن أن يبنوا بأنفسهم عن ذلك النظام سيء السمعة، لكن ليست لديهم إجابة عن أسئلة العمال والشباب الذين يطالبون بتفسيرات جديّة.

لقد سبق أن أوضحنا إنجازات الصناعة والعلوم والتكنولوجيا السوفياتية. لكن هناك جانب آخر للصورة. لقد تم استبدال دولة الديمقراطية العمالية التي بناها لينين وتروتسكي بدولة ستالين البيروقراطية المشوهة الوحشية. كان ذلك انحدارا رهيبا يدل على تصفية السلطة السياسية للطبقة العاملة، مع الإبقاء على المكتسبات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية لثورة أكتوبر، فعلاقات الملكية الجديدة، التي كان أوضح تعبير عنها هو الاقتصاد المخطط، بقيت قائمة.

في عام 1920، كتب تروتسكي كتابا صغيرا بعنوان: "نحو الاشتراكية أو نحو الرأسمالية؟"، وقد كان ذلك دائما هو السؤال الحاسم بالنسبة للاتحاد السوفياتي. كانت الدعاية الرسمية هي أن الاتحاد السوفياتي يتحرك حتما نحو تحقيق الاشتراكية. في الستينيات تفاخر خروتشوف بأن الاشتراكية قد تحققت بالفعل وأن الاتحاد السوفياتي كان على وشك بناء مجتمع شيوعي كامل في غضون عشرين عاما. لكن الحقيقة هي أن الاتحاد السوفياتي كان يسير في اتجاه آخر تماما.

ينبغي أن تؤدي الحركة نحو الاشتراكية إلى تخفيض تدريجي في عدم المساواة. لكن في الاتحاد السوفياتي كان التفاوت يتزايد باستمرار. وافتحت هوة كبيرة بين الجماهير وبين ملايين من المسؤولين أصحاب الامتيازات وزوجاتهم وأطفالهم بملابسهم الأنيقة وسياراتهم الفارهة وشققهم المريحة. وصار التفاوت أكثر وضوحا لأنه كان يتناقض مع الدعاية الرسمية عن الاشتراكية والشيوعية.

من وجهة نظر الجماهير، لا يمكن اقتصر النجاح الاقتصادي في كمية الصلب والاسمنت والكهرباء التي يتم إنتاجها. تعتمد مستويات المعيشة قبل كل شيء على إنتاج السلع ذات النوعية الجيدة والرخيصة والمتاحة بسهولة: الملابس والأحذية والغذاء والغسالات وأجهزة التلفزيون وما شابه ذلك. لكن في ما يخص هذه المجالات كان الاتحاد السوفياتي متخلفا جدا عن الغرب. لم يكن ذلك ليكون مشكلة كبيرة لولا حقيقة أن بعض الناس كانوا يتمتعون بحق الوصول إلى تلك الأشياء في حين أن الأغلبية كانت محرومة من ذلك.

والسبب في أن الستالينية تمكنت من البقاء لفترة طويلة، بالرغم من كل التناقضات البشعة التي خلقتها، هو بالتحديد تلك المكتسبات الهائلة

طويلة والعمل الليلي وتحدد إجازة مدفوعة الأجر عند الولادة والإجازات الأسرية ومراكز رعاية الطفل. صار الإجهاد قانونيا في عام 1920، وتم تبسيط مساطر الطلاق واستحداث التسجيل المدني للزواج. كما تم إلغاء مفهوم الأطفال غير الشرعيين. وعلى حد تعبير لينين: «بالمعنى الحرفي، لم نترك لينة فوق أخرى في القوانين الخسيسة التي وضعت المرأة في حالة من الدونية مقارنة مع الرجال...»

وتم إحراز تقدم ملموس في تيسير المشاركة الكاملة للمرأة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية - توفير وجبات مدرسية مجانية، توفير الحليب للأطفال ومنح خاصة للتغذية والملابس للأطفال المحتاجين، ومراكز استشارة الحمل، ودور رعاية الأمومة ودور الحضانه وغيرها من المرافق. صحيح أن صعود الستالينية أدى إلى سلسلة من الهجمات على تلك الإصلاحات في المجال الاجتماعي، والتي أثرت بشكل كبير على وضع المرأة. لكن بعد وفاة ستالين، سمح النمو الاقتصادي لفترة ما بعد الحرب بتحسين عام مطرد: التقاعد في 55 سنة، وعدم التمييز في الأجر وشروط العمل، وحق المرأة الحامل في التحول إلى عمل أسهل مع إجازة أمومة مدفوعة الأجر بالكامل قبل 56 يوما من الولادة و 56 يوما بعد ولادة الطفل. وألغى تشريع جديد صدر عام 1970 العمل الليلي والعمل تحت الأرض بالنسبة للنساء. وارتفع عدد النساء في التعليم العالي من 28%، من مجموع العاملين، في عام 1927، إلى 43% في عام 1960 وإلى 49% في عام 1970. وكانت البلدان الوحيدة الأخرى في العالم التي شكلت فيها النساء أكثر من 40% من مجموع العاملين في التعليم العالي هي فنلندا وفرنسا والولايات المتحدة.

وكانت هناك تحسينات في الرعاية قبل المدرسية للأطفال: ففي عام 1960 كان هناك 500.000 حضانه، لكن بحلول عام 1971 ارتفع هذا العدد إلى أكثر من خمسة ملايين. وقد انعكست أوجه التقدم الهائلة للاقتصاد المخطط، مع ما ترتب عن ذلك من تحسينات في الرعاية الصحية، في مضاعفة متوسط العمر المتوقع للنساء من 30 إلى 74 سنة وانخفاض معدل وفيات الأطفال بنسبة 90%. وفي عام 1975 ارتفعت نسبة النساء العاملات في التعليم إلى 73%. وبحلول عام 1970 كانت نسبة النساء الممرضات 98%، كما أن 75% من المدرسين و 95% من أمناء المكتبات و 75% من الأطباء كن نساء. وفي عام 1950، كانت هناك 600 دكتورة في مجال العلوم، لكن بحلول عام 1984، ارتفع عددهن إلى 5600 دكتورة.

لكن أدت عودة الرأسمالية إلى تراجع سريع لمكاسب الماضي، مما دفع النساء إلى العودة إلى وضع العبودية المدقع تحت اسم "الأسرة". ويقع الجزء الأكبر من عبء الأزمة على عاتق النساء.

### لماذا انهار الاتحاد السوفياتي

لكن وعلى الرغم من هذه النجاحات الاستثنائية، فقد انهار الاتحاد السوفياتي. والسؤال الذي يجب طرحه هو لماذا حدث ذلك. تفسيرات



بأن البيروقراطية الستالينية ومن أجل الحفاظ على امتيازاتها "ستسعى حتماً في المراحل المقبلة للحصول على سند لنفسها في علاقات الملكية [الرأسمالية]"، قد تبين أنه صحيح تماماً. إن المشهد المثير للاشمئزاز لقادة الحزب الشيوعي والمديرين والمسؤولين وهم يمزقون بطاقات حزبهم ويتحولون صراحة إلى "رجال أعمال"، بنفس سهولة انتقال المرء من حجرة إلى أخرى، يبين إلى أي مدى كان النظام الستاليني بعيداً عن الاشتراكية الحقيقية.

لم يكن تروتسكي يتوقع أن يستمر النظام الستاليني في البقاء كل تلك الفترة التي عاشها. صحيح أنه توقع في كتابه الأخير "ستالين" أنه من الممكن أن يستمر ذلك النظام في شكله ذاك لعقود عديدة، لكن الكتاب لم يكن قد اكتمل عندما تعرض للاغتيال، ولم يتمكن من تطوير هذه الفكرة أكثر. خرج الاتحاد السوفياتي من الحرب العالمية الثانية أكثر قوة، والنظام الستاليني، الذي اعتبره تروتسكي انحرافاً تاريخياً مؤقتاً، ظل قائماً على مدى عقود. وكان لهذا أثر عميق على كل شيء، ولا سيما على وعي الجماهير والبيروقراطية نفسها.

كان تروتسكي يأمل في أن تتم الإطاحة بالنظام الستاليني بثورة سياسية تقوم بها الطبقة العاملة. لكنه أكد أنه إذا لم يحدث ذلك فهناك إمكانية أن تؤدي سيروورة الثورة المضادة البيروقراطية، عند نقطة معينة، إلى الإطاحة بعلاقات الملكية التي أنشأتها ثورة أكتوبر:

«تبدأ الثورة المضادة في التحرك عندما تبدأ المكتسبات الاجتماعية التقدمية في التفكك، ولا يبدو أن هناك نهاية لهذا التفكك، إلا أنه ما يزال جزء من مكتسبات الثورة باقياً، وعليه فإنه بالرغم من نشوات البيروقراطية الوحشية، فإن الأساس الطبقي للاتحاد السوفياتي ما يزال بروليتارياً، لكن دعونا نضع في اعتبارنا أن عملية التفكك ما زالت لم تكتمل بعد، وأن مستقبل أوروبا والعالم خلال العقود القليلة المقبلة لم يتقرر بعد. كان التيرميدور الروسي سيفتح بلا

شاملاً لأسباب أزمة النظام البيروقراطي، وهي التي ما تزال حتى اليوم مجهولة بالنسبة لجميع المحللين الآخرين للأحداث التي شهدتها الاتحاد السوفياتي سابقاً.

### تحليل تروتسكي

كان الأساس الذي استند إليه كتاب "روسيا من الثورة إلى الثورة المضادة" هو التحليل الرائع الذي قام به ليون تروتسكي في تحفته "الثورة المغدورة"، التي كتبها في عام 1936، والتي ما زالت تحتفظ حتى اليوم بكل بريقها وأهميتها. لا يمكن لأي شخص يريد أن يفهم ما حدث في روسيا أن يتجاهل هذا التحليل الماركسي العظيم. ومع ذلك، ولأسباب مفهومة، لم يقدم تروتسكي تحليلاً نهائياً وقطعياً للطبيعة الطبقيّة للدولة السوفياتية، بل ترك المسألة مفتوحة في ما يخص الاتجاه الذي سوف تأخذه في النهاية.

لقد فهم الماركسي الروسي العظيم أن مصير الاتحاد السوفياتي سيحدده صراع القوى الحية، والذي بدوره يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بالتطورات التي تحدث على نطاق عالمي، وهذه التطورات لا يمكن التنبؤ بها بدقة مسبقاً. في الواقع إن النتيجة التي انتهت إليها الحرب العالمية الثانية، كان لها أثر حاسم على مصير الاتحاد السوفياتي، وهو ما لم يتوقعه أحد. كتب تروتسكي:

«من المستحيل في الوقت الحالي تقديم أي جواب نهائي ولا جدال فيه عن سؤال في أي اتجاه ستتطور التناقضات الاقتصادية والصراعات الاجتماعية للمجتمع السوفياتي خلال السنوات الثلاث أو الخمس أو العشر المقبلة. إن النتيجة رهينة بصراع القوى الحية في المجتمع ليس فقط على الصعيد الوطني بل وعلى الصعيد الأممي أيضاً. وعليه فإنه يجب، خلال كل مرحلة جديدة، إجراء تحليل ملموس للاتجاهات والعلاقات الحقيقية، في ترابطها وتداخلها المتواصل».[4]

كان تروتسكي حريصاً على وضع علامة استفهام على مستقبل الدولة السوفياتية. إن توقعه

في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية. وبعبارة أخرى لم يعد معدل النمو في الاتحاد السوفياتي أعلى بكثير من ذلك الذي تحقق في ظل الرأسمالية، وهو وضع كارثي. نتيجة لذلك انخفضت حصة الاتحاد السوفياتي من إجمالي الإنتاج العالمي بشكل فعلي من 12,5% في عام 1960 إلى 12,3% في عام 1979. وفي نفس الفترة، زادت اليابان حصتها من 4,7% إلى 9,2%. كل ثروة خروثشوف عن اللحاق بركب أمريكا وتجاوزها تبخرت في الهواء. وفي وقت لاحق استمر معدل النمو في الاتحاد السوفياتي في الانخفاض حتى نهاية عهد بريجنيف، ("فترة الركود" كما سماها غورباتشوف) ووصلت إلى الصفر.

وبمجرد الوصول إلى هذه المرحلة، توقفت البيروقراطية عن لعب الدور التقدمي نسبياً الذي لعبته في الماضي. وكان هذا هو سبب دخول النظام السوفياتي في أزمة. كان تيد غرانث هو الماركسي الوحيد الذي استنتج الخلاصات الضرورية من هذا. لقد أوضح أنه بمجرد ما صار الاتحاد السوفياتي عاجزاً عن تحقيق نتائج أفضل من الرأسمالية، صار محكوماً عليه بالفناء. وعلى النقيض من ذلك، فإن كل التيارات الأخرى، البرجوازية والستالينية، اعتبرت أنه من المسلم به أن تلك الأنظمة التي كانت تبدو راسخة في روسيا والصين وأوروبا الشرقية ستستمر تقريبا إلى الأبد.

عملت الثورة السياسية المضادة، التي قامت بها البيروقراطية الستالينية في روسيا، على تصفية نظام الديمقراطية العمالية السوفياتية، لكنها لم تدمر علاقات الملكية الجديدة التي خلقتها ثورة أكتوبر. استندت البيروقراطية الحاكمة على الاقتصاد المخطط، ولعبت دوراً تقدمياً نسبياً في تطوير القوى المنتجة، على الرغم من تكلفة أكبر بثلاثة أضعاف من تكلفة الرأسمالية، مع تذبذب هائل وفساد وسوء إدارة، كما أشار تروتسكي حتى قبل الحرب عندما كان الاقتصاد ينمو بنسبة 20% سنوياً.

لكن وعلى الرغم من نجاحها، لم تحل الستالينية مشاكل المجتمع. بل إنها، في الواقع، كانت تمثل شذوذاً تاريخياً وحشياً ونتيجة لتركيبة تاريخية غريبة من الظروف. كان الاتحاد السوفياتي في ظل ستالين مبنياً على تناقض جوهري، كان الاقتصاد المخطط متناقضاً مع الدولة البيروقراطية. وحتى في فترة المخططات الخماسية الأولى، كان النظام البيروقراطي مسؤولاً عن تذبذب هائل. لم يخفف هذا التناقض مع تطور الاقتصاد، بل، على العكس من ذلك، تفاقم أكثر من أي وقت مضى حتى أدى في نهاية المطاف إلى انهيار النظام بشكل كامل.

صار هذا الآن حقيقة معروفة للجميع. لكن من السهل جداً على المرء أن يتوقع الأحداث بعد وقوعها. بينما من الصعب التنبؤ بالعمليات التاريخية قبل حدوثها، وهذا هو الحال بالتأكيد مع كتابات تيد غرانث الرائعة عن روسيا، والتي رسمت بدقة مسار انحطاط الستالينية وتوقعت نتائجها. في كتاباته فقط حيث يمكن أن نجد تحليلاً



شك حقة جديدة من الحكم البرجوازي، لو لم يكن هذا الحكم قد عفا عليه الزمن في جميع أنحاء العالم. وعلى أية حال، فإن الصراع ضد المساواة وإقامة تفاوتات اجتماعية عميقة جدا لم يتمكنوا حتى الآن من القضاء على الوعي الاشتراكي للجماهير أو على تأمين وسائل الإنتاج والأرض، التي كانت المكتسبات الاشتراكية الأساسية للثورة. وعلى الرغم من أنها تقيد هذه الإنجازات، فإن البيروقراطية لم تعامر بعد باللجوء إلى إعادة الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج» [5]

وقد فسر تروتسكي منظور عودة الرأسمالية إلى روسيا وتدابيرها باستشراف رائع منذ عام 1936:

«انهيار النظام السوفياتي سيؤدي حتما إلى انهيار الاقتصاد المخطط، وبالتالي إلغاء ملكية الدولة والعلاقة الإجبارية بين التروسنتات والمصانع داخلها سوف تنهار، وسوف تتمكن الشركات الأكثر نجاحا من السير على طريق الاستقلال. وقد تحول نفسها إلى شركات مساهمة، أو قد تجد شكلا انتقاليا آخر من أشكال الملكية، من بينها، على سبيل المثال، إشراك العمال في الأرباح، وستتفكك المزارع الجماعية في نفس الوقت وبسهولة أكبر، وبالتالي فإن سقوط الديكتاتورية البيروقراطية الحالية، إذا لم تحل محلها قوة اشتراكية جديدة، سيعني بالتالي عودة العلاقات الرأسمالية مع تراجع كارثي للصناعة والثقافة» [6]

ما يثير الإعجاب هو الطريقة الرائعة التي توقع بها تروتسكي الاتجاهات الرئيسية لما حدث فعلا في روسيا. وعلى النقيض تماما من وضوح منهج تروتسكي نرى الإفلاس النظري والعملية لنظرية "رأسمالية الدولة"، والتي سيطرت، بأشكال مختلفة، على عقول مختلف العصب اليسارية المتطرفة طيلة عقود. بعد الحرب العالمية الثانية طور تيد غرانت ووسع تحليل تروتسكي حول البونابرتية البروليتارية، وخاصة في "النظرية الماركسية للدولة"، والتي هدمت بشكل شامل فكرة رأسمالية الدولة في روسيا.

وفقا لهذه "النظرية" كان النظام في الاتحاد السوفياتي نظاما رأسماليا بالفعل منذ فترة طويلة. لماذا إذن ينبغي على العمال أن يدافعوا عن الأشكال القديمة لملكية الدولة (رأسمالية الدولة) ضد البرجوازية الوليدة، بما أنه لا يوجد فرق بينهما؟ إن هذا الحجة، التي من شأنها نزع سلاح الطبقة العاملة تماما في مواجهة الثورة الرأسمالية المضادة، هي مثال صارخ عن كيف تؤدي نظرية خاطئة حتما إلى كارثة في الممارسة العملية.

لم تكن لأزمة الستالينية أية نقطة تشابه على الإطلاق مع أزمة الرأسمالية (أو "رأسمالية الدولة"). أزمة الرأسمالية هي نتيجة لفوضى السوق والملكية الخاصة. لكن لم يكن هناك أي مجال لحدوث أزمة فائض الإنتاج في حالة الاتحاد السوفياتي، الذي كان قائما على الاقتصاد المخطط المؤمم، على الرغم من أنه كان يعاني من كل شرور البيروقراطية والفساد وسوء الإدارة.

1936، أدى النظام البيروقراطي في نهاية المطاف إلى تفويض الاقتصاد المخطط المؤمم، وأعد الطريق لانهاره وعودة الرأسمالية.

ما هو التقييم الممكن لثورة أكتوبر والتجربة العظيمة في الاقتصاد المخطط الذي أعقبها؟ ما هي الآثار المترتبة عنها بالنسبة لمستقبل البشرية؟ وما هي الاستنتاجات التي ينبغي استخلاصها منها؟ إن الملاحظة الأولى يجب أن تكون بديهية، وهي أنه سواء كنت مؤيدا لثورة أكتوبر أو معارضا لها، فإنه لا يمكن أن يكون هناك أدنى شك على الإطلاق في أن هذا الحدث قد غير مسار تاريخ العالم بطريقة لم يسبق لها مثيل. وقد هيمنت نتائجها على القرن العشرين بأكمله. هذه حقيقة معترف بها حتى من قبل المعلقين الأكثر محافظة وأولئك المعادين لثورة أكتوبر.

وغني عن القول بأن مؤلف هذه المقالة مدافع حازم عن ثورة أكتوبر. إنني أعتبرها أعظم حدث في تاريخ البشرية. لماذا أقول هذا؟ لأن ثورة أكتوبر هي المرة الأولى، إذا استثنينا تجربة كومونة باريس المجيدة لكن القصيرة، حيث قام ملايين الرجال والنساء العاديين وأطاحوا مستغلبهم وأخذوا مصيرهم بأيديهم، وبدعوا، على الأقل، مهمة تحويل المجتمع.

وإلى ذلك يجب أن نضيف الطابع المحدود للدولة القومية، التي تجاوزت صلاحيتها وأصبحت عبئا هائلا على القوى المنتجة. وهذا ما يفسر لماذا يضطر كل بلد، بما في ذلك القوى العظمى، على المشاركة في السوق العالمية. وكان ماركس قد توقع هذا من قبل. وهذا هو السبب أيضا في أن فكرة الاشتراكية في بلد واحد فكرة طوباوية رجعية.

#### كاريكاتير الاشتراكية

ما فشل في روسيا وأوروبا الشرقية لم يكن الشيوعية أو الاشتراكية، بالمعنى الذي كان يفهمه ماركس أو لينين، بل كاريكاتير بيروقراطي وشمولي. لقد أوضح لينين أن الحركة نحو الاشتراكية تتطلب الرقابة الديمقراطية على الصناعة والمجتمع والدولة من طرف البروليتاريا. إن الاشتراكية الحقيقية لا تتفق مع حكم نخبة بيروقراطية متميزة، سيصاحبها حتما الفساد الهائل والمحسوبية والتبذير وسوء الإدارة والفوضى.

لقد حققت الاقتصادات المخططة المؤممة في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية نتائج مذهلة في مجالات الصناعة والعلوم والصحة والتعليم، لكن، وكما توقع تروتسكي في وقت مبكر من عام

## مقتطفات من البرنامج الانتقالي

طوال عقود وعقود الجماهير الكادحة - المغربية والصحراوية- تناضل بشراسة النمر ضد الدكتاتورية والاستغلال والقهر القومي. لكن المأساة هي أن كل تلك النضالات البطولية والتضحيات تذهب هباء وتبقى بدون أفق بسبب غياب برنامج ثوري يكثف مطامح وآمال الجماهير في نقاط واضحة تعبر عن أشد مطالبها إلحاحا وتوسع أفقها باستمرار. برنامج انتقالي يشكل الجسر بين النضالات الأنية وبين النضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع.

في هذا السياق ننشر مقتطفات من برنامجنا الانتقالي على صفحات الجريدة، بحيث يتضمن كل عدد موضوع معين، وللراغبين في الإطلاع على البرنامج الانتقالي كاملا يمكنه اقتناء العدد 11 من جريدتنا "الشيوعي" (يناير 2014) من المناضل الذي يوزع الجريدة، أو الإطلاع عليه على موقع ماركسي.

نطرح هذا البرنامج للطبقة العاملة المغربية والشعب الصحراوي وعموم الكادحين والمناضلين العماليين والشباب الثوري الباحثين عن بديل ماركسي اشتراكي ثوري، بحيث يتناول مواضيع: الأجور، البطالة، النقابات، النساء، الأسرة، السياسة الزراعية، الخصوصية، الصحة، التعليم، السكن، الديون، الضرائب، السياسة الخارجية، الجيش والشرطة، حقوق الشعب الصحراوي، جهاز الدولة.

## الخصوصية:

إن عملية الخصخصة التي قامت بها الدولة ببيعها لمختلف القطاعات الاقتصادية الرئيسية ليست سوى عملية نهب وسرقة لممتلكات الشعب وتميرها للأسمال الامبريالي والمحلي، أدت إلى تدمير تلك القطاعات ونهب الثروات وطرد العمال وضرب المكتسبات الاجتماعية.

نحن في رابطة العمل الشيوعي نناضل من أجل:

- الوقف النهائي لمسلسل الخصخصة
- إعادة تأميم جميع القطاعات التي بيعت، بدون تعويض (ما عدا صغار المساهمين) ووضعها تحت رقابة ممثلي العمال والنقابات.
- محاكمة المسؤولين عن عملية الخصخصة والمستفيدين منها ومصادرة ممتلكاتهم ووضعها تحت الرقابة الشعبية.
- إعادة إدماج العمال الذين تعرضوا للطرد بسبب الخصخصة وتمتعهم بتعويضاتهم.

## الصحة:

يعتبر قطاع الصحة من بين أكثر القطاعات التي تتجلى فيها الطبيعة الاستغلالية والإجرامية للطبقة السائدة ودرجة استهتارها بحياة الكادحين، حيث عملت على تدميره بشكل ممنهج وحرمان الكادحين من أكثر الحقوق بديهية: حق العلاج. وفي سياق الاجهاز على الصحة العمومية والحق في العلاج المجاني أسسته الحكومة مؤخرا المساعدة الطبية "راميد"، الذي يربط حق العلاج بالحصول على بطاقة تسلمها السلطات الفاسدة.

نحن في رابطة العمل الشيوعي نناضل من أجل:

- الرفع فورا من ميزانية الصحة إلى ما لا يقل عن 20% من الناتج الداخلي الخام ووضع مخطط استعجالي لتوفير بنية تحتية من المستشفيات والمستوصفات... كافية للاستجابة لحاجيات جميع المواطنين في المدن والقرى والمداشر، مجانا وبجودة عالية وتحت الرقابة العمالية.
- ضمان الحق في العلاج المجاني ذو الجودة لكل الشغيلة والعاطلين بدون قيد أو شرط.
- فتح معاهد وجامعات للطب جديدة لتكوين الأطباء والمرضين.
- تحسين شروط عيش وعمل العمال والمرضين والأطباء والرفع من عددهم.
- تشجيع البحث العلمي في مجال الطب.
- اطلاق مشروع يرمي لتزويد الوحدات الصحية بكافة مستلزماتها
- نناضل من أجل أن تصير وزارة الصحة منتخبة ديموقراطيا من بين الأطباء والمرضين ومجالس العمال والنقابات، في إطار حكومة العمال والفلاحين.

وكون أن هذه المهمة قد تم تحويلها، في ظل ظروف محددة، في اتجاهات غير متوقعة من قبل قادة الثورة، لا يبطل أفكار ثورة أكتوبر، كما أنه لا يقلل من أهمية المكاسب الهائلة التي حققها الاتحاد السوفياتي على مدى السنوات السبعين التي تلت ذلك.

كانت العودة نحو الرأسمالية تعني خطوة كبيرة إلى الوراء بالنسبة لشعب روسيا وجمهورية الاتحاد السوفياتي سابقا. دفع المجتمع مرة أخرى إلى الوراء وكان عليه أن يتعلم كل "بعم" الحضارة الرأسمالية: الدين والبعاء والمخدرات وجميع "بركات" الرأسمالية الأخرى. وفي الوقت الحاضر نجح نظام بوتين في توطيد حكمه. لكن مظاهر القوة التي تبدو عليه مجرد وهم. إن الرأسمالية الروسية، مثلها مثل ذلك الكوخ في الخرافة الروسية، مبنية فوق سيقان الدجاج.

نقطة ضعف الرأسمالية الروسية هي أنها مرتبطة الآن بحبل سري بمصير الرأسمالية العالمية. إنها معرضة لجميع عواصف وضغوط النظام الغارق في أزمنة التاريخية. وسيكون لذلك تأثير عميق على روسيا، اقتصاديا وسياسيا على حد سواء. عاجلا أو آجلا سوف يتعافى العمال الروس من آثار الهزيمة وينقلون إلى الفعل. وعندما سيحدث ذلك سيعيدون بسرعة اكتشاف تقاليد ثورة أكتوبر وأفكار البلشفية الحقيقية. هذا هو السبيل الوحيد للمضي قدما أمام عمال روسيا والعالم أجمع.

سيرد أعداء الاشتراكية بازدرء بأن التجربة انتهت بالفشل. وسنرد نحن بكلمات الفيلسوف الكبير سبينوزا بأن مهمتنا ليست أن نبكي ولا أن نضحك، بل أن نفهم. إلا أن كل محاولات البحث في كتابات البرجوازيين أعداء الاشتراكية عن أي تفسير جدي لما حدث في الاتحاد السوفياتي ستذهب عبثا. إن تحليلاتهم المزعومة تفتقر إلى أي أساس علمي لأنها مدفوعة بالكرامية العمياء التي تعكس مصالح طبقية محددة.

لم تكن البرجوازية الروسية المنحطة، التي أقيمت في مزبلة التاريخ في أكتوبر 1917، هي التي أدخلت روسيا إلى العصر الحديث، بل الاقتصاد المخطط المؤم هو من قام بذلك: قام ببناء المصانع والطرق والمدارس، وتثقيف الرجال والنساء، وخلق علماء بارزين، وبناء الجيش الذي هزم هتلر، وإرسال أول إنسان إلى الفضاء.

وعلى الرغم من جرائم البيروقراطية، فقد تحول الاتحاد السوفياتي بسرعة من اقتصاد متخلف وشبه إقطاعي إلى بلد صناعي متقدم وحديث. لكن في النهاية لم تكن البيروقراطية راضية عن الثروة الهائلة والامتيازات التي حصلت عليها من خلال نهب الدولة السوفياتية، فانتقلت، كما توقع تروتسكي، إلى معسكر إعادة الرأسمالية، وحولوا أنفسهم من طغمة طفيلية إلى طبقة سائدة.

## هوامش:

- 1: جون ريد: عشرة أيام التي هزت العالم، ص: 10-11 - الطبعة العربية، ترجمة فواز طرابلسي. منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. ط 4. [مع تدقيق الترجمة اعتمادا على النسخة الانجليزية - المترجم]
- 2: م. ماكولي: الاتحاد السوفياتي 1917-1991، ص: 15 و 378.
- 3: أليك نوف، تاريخ اقتصادي للاتحاد السوفياتي، ص: 438.
- 4: ليون تروتسكي: الثورة المغدورة. ص: 49.
- 5: المرجع نفسه، ص: 405-406.
- 6: المرجع نفسه، ص: 250-251.

## جريدة الثورة

تصدرها رابطة العمل الشيوعي  
الفرع المغربي للتيار الماركسي الأمامي

زوروا مواقعنا الإلكترونية:

<http://www.marxist.com>

<http://www.marxy.com>

<https://etudiantmarxist.org/>